سلسلة الدراسات التوثيقية 25

تاريخ المدينة السودانيّة

المكان والإنسان

ملامح

من تاريخ مدن شرق السودان

الجزء الثالث

د. بدوي الطاهر أحمد البدوي - د. قسم السيد حمزة أحمد
أ. حسن أوشيك أوهاج إدريس

الطبعة الأولى 2022م

القارىء الكريم:

سلسلة الدراسات التوثيقية هي مجموعة من الدراسات والبحوث العلمية الرصينة الهادفة، عملت دار آريثيريا للنشر والتوزيع على تبنيها والاهتمام بها ونشرها بالشراكة مع مجلة القلزم للدراسات التوثيقية.. خدمةً للبحث العلمي في مجال الدراسات و البحوث التوثيقية.

القارئ الكريم:

تثمن دار آريثيريا للنشر والتوزيع المجهودات العلمية لجميع المفكرين والمختصين والباحثين من مختلف الدول العربية وخارجها، وتؤكد بأنها سوف تعمل بكل جد واجتهاد على توسيع قاعدة النشر العلمي وإتاحته عبر الدار وشركائها، لنشر البحوث التي تسهم في رفد المكتبة العربية والعالمية بالجديد المفيد.

القارئ الكريم:

العالم اليوم يؤمن بالعمل الجاد والبحوث العلمية الرصينة ذات المردود الإيجابي على الفرد والمجتع، ومن خلال هذا المحور نعمل دائما - بحول الله تعالى - كي تكون الدار منبراً علمياً يشار إليه بالبنان. بإذنه تعالى.

APD
دار آريثيريا للنشر والتوزيع
Arrythria for Publishing and Distribution

25 سلسلة الدراسات التوثيقية

تاريخ المدينة السودانيّة

المكان والإنسان

ملامح من تاريخ
مدن شرق السودان

الجزء الثالث

د. بدوي الطاهر أحمد البدوي
د. قسم السيد حمزة أحمد
أ. حسن أوشيك أوهاج إدريس

الكتاب : تاريخ المدينة السودانية - المكان والإنسان - ج 3
تاريخ النشر : الطبعة الأولى 2022م

التصميم والإخراج: علي عبد الحليم كابتود

حقوق النشر محفوظة للدار

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه، أو تخزينه كنسخة إلكترونية أو نقله بأي شكلٍ من الأشكال دون إذن خطي مسبق من الدار.

إن دار آريثيريا للنشر والتوزيع غير مسؤولة عن أراء المؤلفين وأفكارهم، وتعبر الآراء والأفكار الواردة في هذا الكتاب عن وجهة نظر المؤلفين ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر الدار.

دار آريثيريا للنشر والتوزيع
Arrythria for Publishing and Distribution
جوال : 00249910785855- 00249121566207
arithriaforpublishing@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى﴾

(يس - 20)

الفهرست

الفصل الأول:

تاريخ مدينة بورتسودان 7

الفصل الثاني:

نشـأة مدينة كسـلا وتطورها في قر..... 22

الفصل الثالث:

لمحـات مــن تاريــخ القضــارف..... 35

الفصل الأول

تاريخ مدينة بورتسودان

تاريخ مدينة بورتسودان

د. بدوي الطاهر أحمد البدوي

قسم التاريخ - كلية الآداب – جامعة البحر الأحمر

مقدمة :

كان انشاء مدينة بورتسودان مرتبطاً بالحوجة الماسة لمرفأ للسفن التجارية التي تطورت صناعتها واصبحت ذات غواطس ضخمة. ونسبة لاهمال ميناء سواكن وحصاره طوال فترة الدولة المهدية بالسودان مما ادي لنمو الشعاب المرجانية بمدخل بوغازه واصبح لايصلح لاستقبال السفن الكبيرة. فكر المستعمر الانجليزي في اقامة ميناء جديد بخليج الشيخ برغوث واختمرت الفكرة بالعام 1903م ورأت النور بالعام 1905م حيث وصل اليها خط السكة الحديدية. وافتتح الميناء رسمياً علي يد خديوي مصر عباس حلمي الثاني في العام 1909م .

تكمن اهمية هذا البحث في تسليط الضوء علي تاريخ ميناء السودان الحديث ومنفذه للعالم الخارجي، الهدف من البحث تتبع تطور مدينة بورتسودان معرفة دورها الاقتصادي في تنمية السودان وخدمة التجارة.

هيكل البحث: يتكون من هذه المحاور

تاريخ انشاء الميناء

التطور العمراني

سكان بورتسودان

مستقبل بورتسودان

كان ميناء السودان القديم مدينة سواكن التاريخية مدينة عريقة وصفت بدرة المدائن على سواحل البحر الاحمر وصفها البرتغالي خوان دى كاسترو بانها لشبونة الشرق وذلك عند الغزو البرتغالي على مدينة سواكن 1516م. خدمت سواكن التجارة العالمية على مدى خمس قرون.

بعـد نجـاح الثـورة المهديـة التـي قادهـا محمـد أحمـد المهـدى ضـد الحكـم الـتركي المـصرى وسـقوط الخرطـوم 1885م لم يبقـى فى حـوزة الحكومـة المصريـة بالسـودان عـدا سـواكن المدينـة المحصنـة بالاسـوار والقـلاع.

كانـت الحـرب سـجال بـين الثـورة المهديـة وحكومـة مـصر حـول اسـوار سـواكن حـاول الانجليـز اسـترداد السـودان عـبر سـواكن الا ان اسـتماتة البجـه فى الدفـاع عـن جبهة السـودان الشرقيـة حـال دون ذلـك.

نشـوب الحـرب حـول سـواكن عطـل التجـارة حيـث لم تدخـل السـفن التجاريـة الميناء عـدا سـفن الحكومـة لتموين الجنـود المرابطـين بسـواكن.

هـذا الوضـع شـجع الشـعاب المرجانيـة لتنمـؤ فى مدخـل خليـج سـواكن لقلـة حركـة الملاحـة مـما افسـد مدخـل الميناء واصبـح عامـل طبيعيـاً شـجع الحكومـة الانجليزيـة بعـد احتـلال السـودان 1899م بـان تفكـر فى اتخـاذ ميناء جديـد للقطـر السـودانى.

فكانـت فكـرة انشـاء ميناء بورتسـودان بديـلاً لسـواكن ولقـد سـاعد تطـور صناعـة السـفن وعظـم غواطسـها فى عـدم ملائمـة ميناء سـواكن للسـفن الحديثـة مـع تفـشى الشـعاب المرجانيـة .

هنالـك اسـباب اخـرى مثـل ضيـق مسـاحة جزيـرة سـواكن واكتظاظهـا بالعمائـر لتفكـر الحكومـة فى انشـاء مدينـة جديـده عـلى النمـط الغـربى بتخطيـط حديـث مغايـر لسـواكن ذات السـمات الشرقيـة.

تبلـورت الفكـرة فى عقـول قـادة الحكـم الانجليـزى وشرعـوا فى التنفيـذ قبـل احتـلال السـودان فـكان بنـاء فنـار سـنقنيب القديـم عـام 1897م وذلـك لانهـم اختـاروا شرم الشـيخ برغـوث ليكـون الميناء الجديـد وهـو مـرسى للقـوارب الصغـيرة عنـد ضريـح رجـل صالـح عابـر سـبيل كان قاصـداً الحـج فتوفـاه اللـه بالبحر[1]فقـبر بتلـك المنطقـة وأصبحـت تعـرف بالشـيخ برغـوث ولازال ضريـح هـذا الرجـل الصالـح عـلى رصيـف الميناء الشرقـى.

كان للمهنـدس رالسـتون كينـدى دورا كبـيرا فى انشـاء الميناء الجديد فوضعت الدراسـات اللازمـة وبـدأ التنفيـذ عـام 1905م ببنـاء الارصفـة والمرابـط ووصـول الخـط الحديـدى مـن مدينـة عطـبره ليربـط الميناء بالعاصمـة الخرطـوم.

كان افتتـاح ميناء بورتسـودان فى وجـه الملاحـة العالميـة عـام 1909م حيـث افتتحهـا

خديوى مصر عباس حلمى الثانى بصحبة حاكم عام السودان الانجليزى ريجلند ونجت باشا.[2]

كان ذلك فى احتفال ملكى امام مبنى مديرية البحر الاحمر ببورتسودان ولقد زار ملك بريطانية العظمى جورج السادس بورتسودان عام 1912م فى طريقة للهند.

اصبحت بورتسودان ميناء السودان فنزح اهل جزيرة سواكن من سواكنيين وجاليات اجنبية وتكامل وصولهم عام 1924م بوصول آخر الجاليات وهى الجالية الهندية.[3]

ولقد نشب صراع بين اهل سواكن والحكومة امتدمنذ عام 1906م الى عام 1922م لاعتراض الاهالى على الترحيل للمدينة الجديدة ولكن بعد توفير الماء العذب 1922م بمد خط ناقل للماء العذب من خور اربعات تشجع الاهالى فنزحوا الى بورتسودان شجعت الحكومة التجار لاعمار الدور والبناء ومنحتهم التسهيلات.

التطور العمرانى لمدينة بورتسودان:

بدأ تشيد المبانى لخدمة اعمال الميناء وقام على اكتاف ثلاث فرق من الجيش المصرى بقيادة المهندس يوزباشى محمد يوسف حيث شيد المبانى الحكومية ومعسكرات الجيش وكانت حركة العمران مرتبطة باعمال الحكومة.

كانت منازل الاهالى تبنى بالاخشاب ولكن بعد توفر مواد البناء بعد حرب العالمية الثانية قامت العمائر بالحى الافرنجى اول الاحياء السكنية التى تشيد بالمواد الثابتة ثم انتقل العمران من حى الى آخر وتم تخطيط المدينة على نسق جميل يراعى الحداثة حيث تصب شوارع المدينة فى قلبها حيث السوق الرئيسى وموقف تجمع وسائل المواصلات العامة.

الاحياء السكنية ببورتسودان:

ذكر الباحث ان مرسي الشيخ برغوث والتي ينطقها البجه برؤوت لعجمة لسانهم كانت مرسي صغير للصيادين به مجموعة من الاكواخ وضريح الرجل الصالح برغوث (احمد الولي) ويعرف عند البجه باحمد عاولي ولكن بعد تخطيط مدينة بورتسودان لتكون مدينة حديثة خدمية لانها ميناء القطر السوداني ومنها تصدر حاصلات السودان الزراعية وتستقبل الوارد من التجارة العالمية .

اولاً: حي ديم العرب:

يعتبر من اقدم الاحياء تسكنه قومية البجه ويقصد بالعرب البجه لانها بعامية السودان يطلق علي كل اهل البادديه عرب سواء اكانوا عرباً ام غير عرب، يتوسط الحي سوق شعبي لبيع النتجات الشعبية للبدو وبه بعض الورش لصناعة الجلود والحدادة ويشتهر بمطاعم شعبية لبعض الوجبات الخاصة بالمنطقة كالشواء .

وشهد هذا الحي ظهور االرعيل الاول من ابناء البجه الذين ناهضوا المستعمر منهم بامكار محمد عبدالله (عمدة الحي) وكذلك العمدة حمد موسي باندیل وعلي ابو آمنة وريهاب قبسة وغيرهم، وشهد هذا الحي قيام مؤتمر البجه كحزب سياسي فيما بعد في العام 1958م.

يطلق علي هذا الحي ديم العرب وكلمة ديم تعني حي سكني وبهذا الحي نشاط ثقافي لابناء البجه برز فيه بعض المثقفين الذين قادوا حركة التنوير بوسط قبائل البجه وكان الحي يعتبر مقراً لنظارة قبائل الامرأر . في فترة لاحقة ادخلت الخدمات بالحي مثل الخدمات الصحية والمدارس واالاندية الثقافية مثل مركز التقدم للنمية االاجتماعية والثقافية ويعتبر مركز اشعاع ثقافي وسط سكان هذا الحي السكني.

حي ديم المدينة:

هذا الحي السكني تم تخطيطه في العام 1925م ليستقر به المهجرين من سكان جزيرة سواكن بعد اغلاق ميناء سواكن من العائلات السواكنية سمي في البداية حي النظام ولكن تغير الاسم الي مدينة نسبة لاسم امرأة كانت تسكن بتلك المنطقة قبل تخطيطه فعرف الحي بهذا الاسم يقع وسط المدينة غرب السوق.

شيدت منازله في البداية علي نظام الترسينات السواكنية بالخشب وكانت المنازل مرتفعة عن الارض وارضياتها من الخشب ايضاً اشبه بالكرفانات ولكن بمرور الزمن شيدت المنازل في شكل مباني ثابتة وعمائر سكنية وهذا الحي يعتبر مركز المدينة وقلبها النابض تمازجت فيه كل االثقافات والاعراق من خارج وداخل السودان.

يعتبر سكان هذا الحي هم من اسس المدينة الحديثة وقامت علي اكتافهم الحركة التجارية وخدمة الوظائف االحكومية والدوائر الحكومية والشركات لانهم رواد بحركة التعليم والتنوير وادخلوا الكثير من العادات والتقاليد التي شكلت طابع مواطني بورتسودان.

يعتبر االحي سوق صغير كان مزدهراً في ماضي ايامه ولازال يستقطب الكثير من الرواد لانه يحمل عبق الماضي الجميل وبه بعض المقاهي التي تجمع سكان الحي للانس . شهد الحي نشاطاً رياضياً وثقافياً بالماضي كان مقرا للانشطة المسرحية والثقافية بنادي سواكن الاجتماعي ونادي الثغر ونادي الخريجين امتاز هذا الحي بالريادة بكل الانشطة .

حي طردونا:

هذا الحي اسس ليسكنه عمال الشحن والتفريغ بالميناء من اليمنيين الذين جلبهم المستعمر لمزاولة العمل بالميناء حتي لايستعين بسكان المنطقة من البجه الذين كانوا اتباعاً للثورة المهدية، دافعوا عن بوابة شرق السودان ضد المستعمر ولكن بعد فترة احتج البجه لتهميشهم بارضهم وجلب اليمنيين للعمل فاستغنت الحكومة عن اليمنيين فرجع بعضهم وآثر البعض البقاء والاستقرار ببورتسودان فسموا الحي السكني الخاص بهم طردونا نسبة لتخلي الحكومة الانجليزية عنهم، وجاور االيمنيين بالحي بعض السكان من السودانييين فتشكل تداخل ثقافي فريد تأسست عائلات بهذا الحي من اولئك المهاجرين نذكر منهم علي سبيل المثال آل عبدالرب آل الشاطبي آل الحسني آل باجعفر وغيرهم.

من احيا ء وسط المدينة حي االسكة االحديد ومن التسمية ندرك انه قام علي مساكن العمال بمرافق السكة الحديد ثم توسع الحي لتنضم له بعض العائلات ويفصل هذاالحي شارع عن حي ديم المدينة ولسكان هذا الحي مساهمات في النشاط الثقافي والرياضي ايضاً.

أحياء المنطقة الجنوبية:

تقع هذه االاحيا ء السكنية جنوب المدينة يفصلها عن وسط المدينة (خور موج) الذي ينحدر من جبال البحر االاحمر في غرب المدينة ليصب في االبحر وهو خور موسمي الجريان عند هطول المطر.

حي ديم سواكن:

ويعتبر اشهر احياء القطاع الجنوبي للمدينة، وسمي كذلك ديم موسي سكنه بعض العمال من المهجرين من سواكن ممن كانوا علي هامش المدينة بسواكن فاستقروا

وعملـوا بالميناء والسـوق واسسـوا سـوقاً وعملـوا بالميناء والسـوق واسسـوا سـوقاً تجارياً مزدهـراً يشـتهر بمطاعمـه ومقاهيـه الشـهيرة، ولسـكان هـذا الحـي مسـاهمات بـارزة بالنشـاط الريـاضي ولهـم انديـة رياضيـة متعـددة وفيـه فرقـة السـماكة للفـن البحـري التـي تقـدم فنـون ورقصـات صائـدي السـمك ذات الطالـع العـربي الـذي انتقـل مـع مهاجـري االيمـن والحجـاز.

هنـا ك احيـاء تجـاور هـذا الحـي مثـل ديـم جابـر وجابـر هـذا كان رئيسـاً للعـمال بالميناء عـلي عهـد تأسـيس الميناء وبهـذا الحـي سـوق صغـير تخصـص في المنتجـات السـودانية كالحبـوب واعـمال السـعف. ايضـاً يجـاوره ديـم الجنايـن وبـه مـزارع تعتمـد عـلي الآبـار لزراعـة بعـض الخـضر وكان الانجليـز يشـجعون مـن يريـد الاسـتثمار في النشـاط الفلاحـي لحاجـة المدينـة للزراعـة وافتقارهـا لهـذا النشـاط كمنطقـة سـاحلية فتشـجع بعـض افـراد الطائفـة القبطيـة لعمـل مـزارع بتلـك المنطقـة مثـل السـادة تـادروس وبطرس بسـادة وجيمـس.

واسـتجلب هـولاء مزارعـين مـن شـمال السـودان للعمـل في الزراعـة فنجحـت هـذه التجـارب واصبحـت المنطقـة تعـرف بالجنايـن.

ديم التكارنة:

مـن احيـاء القطـاع الجنـوبي ايضـاً، ومـن اسـمه كان سـكناً للوافديـن مـن غـرب افريقيـا مـن قبيلـة الهوسـا وهنـاك ايضـاً حـي الشـاطئ المجـاور لديـم سـواكن وهـو حـي صغـير محـدود المسـاحة يقـع عـلي جانـب الخـور مطـل عـلي البحـر ومـن هنـا جـاءت التسـمية الشـاطي.

ديم كوريا:

تـم تخطيطـه لاسـتقرار بعـض سـكان السـكن العشـوائي مـن الوافديـن فاطلقـوا عليـه كوريـا لعـل الاسـم يرجـع لحادثـة كانـت تشـغل الاعـلام بذلـك الزمـان الاوهـي الحـرب الكوريـة.

حي الترانسيت (الترانزيت):

كانـت المنطقـة ثكنـات للجيـش البريطـاني خاصـة تمويـل االطائـرات الحربية ايـام الحرب العالميـة الثانيـة وبـه مسـاكن لعـمال البلديـة ثـم خطـط الحـي في نهايـة الخمسـينيات مـن

القـرن المـاضي لسـكن الموظفـين ثـم توالـت التوسـعة ليصبـح الحـي احـد احيـا ء المدينـة الراقيـة، وسـكنت هـذا الحـي عائـلات مـن العائـلات القديمـة بالمدينـة وآخريـن ممـن طـاب لهـم المقـام واسـتقروا ببورتسـودان.

الاحياء السكنية بالقطاع الشرقي للمدينة:

تسـمي احيـاء الـبر الشرقـي وتقـع بـين حظـيرة الميناء وسـاحل االبحـر الاحمـر فمعظمها تطـل عـلي البحـر الاحمـر لانهـا بـشرق المدينـة وهـذه الاحيـا ء ارتبـط تأسيسـها بالعمـل في الميناء لان قاطنـي هـذه الاحيـاء مـن العـمال في الميناء.

مثـل حـي التجـاني والتجـاني هـذا كان عـلي راس العمـل عنـد تشـييد المبـاني بذلـك الحي تسـمي بأسـمه ويجـاوره حـي الاسـكلة ومسـاكن هـذا الحـي كانـت حكوميـة خاصـة بالعمال والموظفـين بالميناء. ثـم قـام حـي ابوحشـيش لاسـتقرار عـمال المحلـج والميناء ومعظمهـم من الوافديـن مـن شـمال السـودان ويجـاوره حـي ابوالدهـب ثـم حـي سـلبونا قـام كامتـداد لحـي ابـو الدهـب سـكنه عـمال ايضـاً مـن شـمال السـودان باعـوا حـلي نسـائهم لـشرا ء الارض فأسـمت النسـاء الحـي سـلبونا أي سـلبن مـن الزينـة ويمتـاز حـي سـلبونا بنشـاط ريـاضي وفنـي كبـير وبـه انشـطة اجتماعيـة فمعظـم سـكانه مـن شـمال السـودان الـذي عـرف اهلـه بالتكافـل.

الجاليات الاجنبية ببورتسودان:

شـهدت مدينـة بورتسـودان هجـرات كثـيرة مـن خـارج البـلاد وذلـك للعمـل بالنشـاط التجـاري مـع ازدهـار المدينـة ومنحهـم التسـهيلات مـن الحكومـة فاسـتقرت هجـرات مـن الهنـد ومـصر واليونـان وارمينيـا وغيرهـا.

يطلـق اهـل بورتسـودان عـلي الهنـود اسـم البنيـان وهـو يطلـق عـلي التجـار في الهنـد يقطـن االهنـود منطقـة السـوق واشـتهرت تجارتهـم في الاقمشـة والعطـور. ولهـم نـادي اجتماعـي يجمـع افـراد الجاليـة بمنطقـة الحـي الافرنجـي ولهـم محرقـة للمـوتي خـارج المدينـة. ومـن اشـهر التجـار الهنـود – ديـرام - سـانجي رامجـي –جيـو غانـدي – كيشـور- مهنـدرا –بروين وغيرهـم.

وهنـاك جاليـات يونانيـة وقبطيـة وايطاليـة وارمنيـة هاجـرت اليـوم كل الجاليـات الاوروبيـة ومعظـم الاقبـاط لاسـباب مختلفـة تعرضـت لهـا اعمالهـم بالبـلاد.

ذكر لبعض الشخصيات من مجتمع بورتسوودان:

اشتهرت ببورتسودان شخصيات كثيرة عرفت علي مستوي القطر السوداني وكان لها اثر كبير بمجال كل منهم نذكر منهم:

السيد علي حسب الله ملاسي من ابطال ثورة 1924م وكان يعمل بمصلحة البريد والبرق وهو من ابناء السواكنية حكم عليه بالاعدام ولكن خفف الحكم سبعة سنوات سجن كان مناضلاً جسوراً.

من مجتمع بورتسودان الدكتور طه عثمان باليه وهو اول طبيب من قومية البجه اسس حزب مؤتمر البجه عام 1958م وعمل بهيئة الصحة العالمية ثم طبيباً خاصاً لامبراطور اثيوبيا هيلاسلاسي، كذلك الطبيب النفسي الشهير السيرة طه احمد باعشر وهو ثاني اختصاص بهذا المجال بعد الرائد العلامة البروفيسور التجاني الماحي.

من مجتمع بورتسودان الشاعر المطرب عبدالكريم عبدالعزيز الكابلي له اسهام كبير في مسيرة الفن السوداني وجمع التراث .

من اشهر المعلمين ببورتسودان المرحوم عبداالله احمد ناجي مدير المدرسة الثانوية الحكومية عمل فترة ملحقاً ثقافياً بسفارة السودان بالقاهرة، ومن المعلمين ايضاً الاستاذ عبدالقادر اوكير القاضي من ابناء البجة عمل كاول مفتش للتعليم بالبحر الاحمر وهو اول خريج من كلية غردون من ابناء البجة ليعمل معلماً.

هنالك ايضاً رجال اعمال يشار لهم بالبنان علي نطاق القطر بل امتد نشاطهم لخارج البلاد امثال عبدالله باعبود وعبدالله سعيد باوارث وعلي العشي والسيد محمد البربري ومحمد عبد ربه وغيرهم. ومن المجتمع النسائي نذكر اول معلمة من االمدينة السيدة فاطمة علي مرزوق تخرجت من كلية المعلمات عام 1955م والسيدة نفيسة الشرقاوي كاول صحفية وكاتبة قصة من المدينة وهناك بعض الرائدات في مجالات مختلفة كالحقل الصحى والعمل الوظيفي.

سكان بورتسودان:

تقع بورتسودان فى منطقة قبائل الامرار وهم سكان ظهير الميناء اما سكان المدينة فتحوى خليطاً من البشر منهم السواكنيين وهم اهل جزيرة سواكن القديمة ومعظمهم من اصول وافده فى فترة الحكم التركى المصرى الغالبية من جزيرة العرب (اليمن والحجاز)، وهنالك عائلات ذات اصول تركية ومصرية وغير ذلك[4] .

كانـوا هـم غالبيـة سـكان المدينـة عنـد انشـائها ولكـن بحكـم تزايـد عـدد السـكان واتسـاع المدينـة شـهدت المدينـة وفـود هجـرات مـن داخـل القطـر شـمال وغـرب السـودان قـدر عـدد سـكان بورتسـودان عنـد انشـائها (29000 نسـمة) منهـم (10000 نسـمة) مـن البجـه يعملـون عـمال للشـحن والتفريـغ[5]

مستقبل بورتسودان:

بمـرور الزمـن تفاقمـت مشـاكل بورتسـودان لزيـادة عـدد السـكان وعـدم تطـور الخدمـات كالمـاء والصحـة والتعليـم وزيـادة النـزوح اليهـا مـن داخـل البـلاد بعـد ربطهـا بطريـق بـرى بالعاصمـة الخرطـوم ولكـن هنالـك جهـود حثيثـة لحـل مشـاكل المدينـة بالتخطيـط ومـد خـط ناقـل للـماء مـن النيـل وامـداد المدينـة بالكهربـاء مـن سـد مـروى عنـد تنفيـذ هـذه المشـاريع سـوف تسـتشرف المدينـة واقعـاً جديـدا.

بورتسـودان موعـوده بتنميـة شـاملة لتكـون مدينـة صناعيـة كـبرى بعـد توفـر البنـى التحتيـة للصناعـات البتروكيماويـة لانهـا ميناء تصديـر البـترول السـودانى عنـد رصيـف بشـائر بالقـرب مـن بورتسـودان وبهـا صناعـات الملـح وصوامـع الغـلال والمطاحـن ومحلـج القطـن حيـث يـزرع بدلتـا طوكـر مـما يشـجع صناعـة الغـزل والنسـيج مـع ملائمـة الطقـس لهـذه الصناعـة.

توجـد المعـادن وعـلى صـدر القائمـة اسـتخراج الذهـب بمنطقـة اريـاب تنتـج دلتـا طوكـر الزراعيـة الخـضر مثـل الطماطـم فى موسـم الشـتاء مـما يشـجع قيـام صناعـات غذائية.

مدينـة بورتسـودان يبلـغ عمرهـا مائـة عـام , ونيـف فهـي حديثـة بحسـاب الزمـن والتاريـخ ولكنهـا واعـده بـاذن اللـه لتكـون مدينـة صناعيـة جاذبـة للاسـتثمار وهنالـك السـياحة حيـث يتوفـر بالمنطقـة مواقـع جـذب سـياحى فى غايـة الجـمال سـواء فى الجـزر البحريـة أو عـلى الجبـال. بورتسـودان موعـوده لتكـون مدينـة اسـتراتيجية كميناء للتجـارة العالميـة بانشـاء المناطـق الحـره ومؤكـد ان المسـتقبل لبورتسـودان .

الهوامش:

1. محمد صالح ضرار، تاريخ بورتسودان عروس البحر، ص 7.
2. صلاح الدين الشامي، الموانى السودانية، ص 158.
3. المرجع نفسه، ص 162.
4. المرجع نفسه، ص 184.
5. المرجع نفسه، ص 188.

صورة لثلاث رجال من الخمسينات بالقرن الماضي : من اليمين السيد حسين ملاسي في الوسط الشيخ محمد سعيد باعشر ثم السيد إبراهيم حمو شمال الصورة

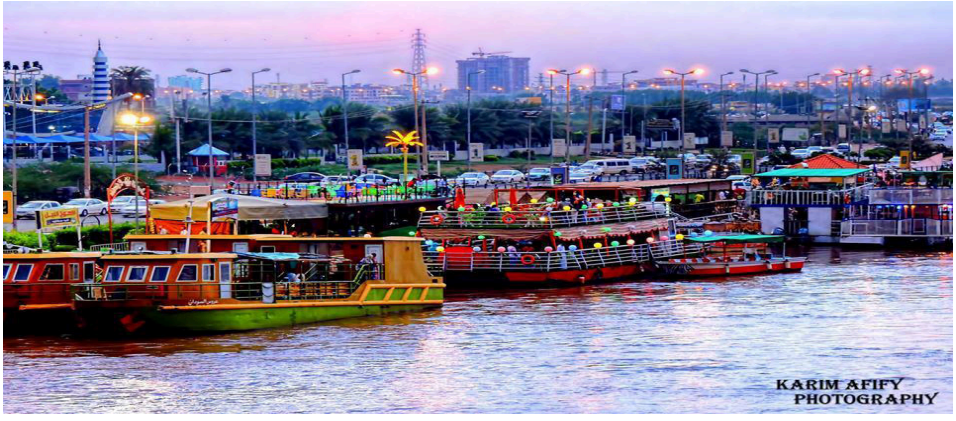

كورنيش المدينة

صورة من سوق المدينة ويبدو مبنى الكنيسة الأرثوذكسية

فندق كورال بمدينة بورتسودان

صورة ملونة لمبنى المجلس البلدي بجواره تمثال أمير عثمان دقنة (أمير الشرق) الذي حطمه المتطرفين في بداية النقاذ

صورة لبنك النيل بمدينة بورتسودان

صورة لفندق البصيرة بلازا يقف أمامه رجل هندي

صورة لموظفي التلغراف الشرقي

صورة للسيد يونس صادق بدوي – موظف بشركة التلغراف الشرقي

الفصل الثاني

نشأة مدينة كسلا وتطورها في قرن

(1840 - 1940م)

نشأة مدينة كسلا وتطورها في قرن (1840 - 1940م)

أ. حسن أوشيك أوهاج إدريس

محاضر- قسم التاريخ – كلية الآداب - جامعة أم درمان الإسلامية

مقدمة:

ظل شرق السودان بعيداً عن الحكم التركي المصري الذي امتد إلى البلاد منذ 1821م ولم تتجه إليه أنظار الحكومة إلا عام 1831م حينما أعدّ خورشيد أغا حملة قوامها ستة آلاف رجل لضم إقليم التاكا واتخذ السبدرات[1] هدفاً له.

ولقد واجهت الحملة مقاومة شرسة من السكان أفضت إلى مقتل ألف وخمسمائة جندي فضلاً عن استيلاء الأهالي على اثنين من مدافع الميدان مما أجبره للعودة للخرطوم دون تحقيق آماله.[2]

وفي عام 1839م تولى أحمد باشا أبو ودان حكمدارية السودان. ولم يمض أكثر من عام واحد استتباب الأمر له حتى هم بضم شرق السودان.[3] وشرع في مصادر الحمير من سكان الخرطوم وضواحيها، وأعطى كل جندي حماراً من أجل وصول جنوده في لياقة عالية ثم قاد الجيش بنفسه إلى بربر ومنها إلى قوز رجب[4] ثم بعث رسله إلى مشائخ البجا وهم الشيخ عوض محمد مسمار زعيم قبيلة الحلنقة، والشيخ محمدين زعيم قبيلة الهدندوة، والشيخ قلب شو زعيم قبيلة البشاريين حيث ذهب الزعيمان محمدين وقلب شو وقدما فروض الولاء والطاعة[5] بينما رفض الشيخ عوض مسمار مقابلة الحكمدار وقال مقولته الشهيرة: «... أنا عشت طول عمري حراً فهيهات أن أكون خادماً للأتراك»[6].

وعلى ضوء ذلك اضطر الحلنقة إلى إرسال وفد من وجهاء القبيلة بقيادة محمد

إيلا بابكر مالك، فقام بأداء فروض الولاء والطاعة ثم انطلق مع الحملة إلى كسلا والتي لم تكن مدينة تخضع لنظم وإدارات، وإنما كان قوامها قطاطي الحلنقة المبنية من القش والأعواد.[7]

تطور مدينة كسلا عام 1840م:

نتيجة للتطورات السياسية والإدارية التي انتظمت شرق السودان عقب سيطرة الإدارة التركية المصرية خطت كسلا أولى خطواتها في الطريق نحو المدينة.

وبدأ العمران بإنشاء حامية الجيش التركي نظراً لموقعها بالقرب من جبال التاكا، ومتاخمتها للحبشة الأمر الذي ركز الناحية العمرانية في الجانب العسكري إقامة الحصون والاستحكامات والنقاط العسكرية.

غير أن اختيار كسلا مركزاً للمديرية الشرقية قلل التركيز على جانب البناء العسكري وجذب اهتمام الحكام إلى مظهر المدينة العمراني حيث قامت مباني الأجهزة الإدارية من الطوب الأحمر بينما بدت للأنظار أكواخ الحلنقة المبنية من القش في أحياء مبعثرة حول مقر السلطة الجديدة.[8]

وكان من ضمن الأعمال التقدمية المستخدمة أن فتحت فيها لأول مرة مدرسة نظامية للتعليم المدني الحديث في يونيو عام 1863م داخل سور الحامية وكانت تسير على المنهج المصري، وحددت أهدافها في تكوين طبقة مثقفة من أبناء زعماء القبائل والجاليات الوافدة ومن ثم التحق بها عبد القادر محمد إيلا بابكر نجل أول ناظر للحلنقة في التركية ومحمد موسى إبراهيم ابن زعيم الهدندوة ومحمد حامد ابن زعيم البني عامر.[9]

وفي عام 1880م شيد جامع الحلنقة العتيق من اللبن (الطين)، ويعد أول جامع، في المدينة ظل يؤمه السكان في الجمعة.[10] تلا ذلك إنشاء مدرسة لتدريب التليغراف عام 1870م.[11]

وأخذت المدينة تنمو نمواً مضطرداً في مدى الخمس وعشرين عاماً الأولى من الحكم التركي فأقيم فيها سوق مزدهر بالتجارة وشيدت دواوين الحكم، وثكنات الجيش بالآجر والحجر وانتظمت الأعمال الديوانية في دواوين الحكومة وأصبحت ذات حيوية كبرى تمارس فيها جميع الأعمال العمرانية والحضارية وبالتالي جذبت إليها أعداد كبيرة من الناس سواء كان من مناطق السودان المجاورة أو خارج البلاد، ذلك

للخدمة في أعمال الدولة أو التجارة أو الذراعة حيث أصبحت مدينة عامرة قياساً بتطور ذلك الزمان.

ولقد ضمت خلال هذا المرحلة بجانب الحلنقة سكانها الأصليين عناصر مختلفة مثل الشايقية والجعليين والأتراك والمصريين والمغاربة، واليمنيين والحضارمة والحجازيين والإغريق وغيرهم.[12]

أحداث الثورة المهدية في مدينة كسلا:

ظلت مدينة كسلا بمنأى عن أحداث الثورة المهدية التي اندلعت عام 1881م حيث فتحت الأبيض على يد الأنصار سنة 1883م عندئذً هاجر عثمان دقنة[13] إلى الأبيض وأخذ البيعة على المهدي فولاه على إمارة شرق السودان التي تضم كسلا وملحقاتها.[14] وخرج الأمير عثمان دقنة يحمل خطابات تأميره لكل القبائل والشخصيات المهمة، لا سيما أسرة المراغنة فإن المهدي خص السيد محمد عثمان بن الحسن الميرغني بخطاب جاء فيه: «... لا حضرتم للهججرة ولا حصلت منكم غيرة للدين بأعمال حركة في جهتكم، ولا أدري ما هو المانع لكم في ذلك، مع أنكم أولى بالفرح بنا وإجابتنا ونصرة دين الله تعالى من كل أحد فما الذي أخركم حتى فاتكم العوام وأنتم العارفون أولو الشرف والمقام ...» حيث فهمت جميع ما ذكر فلا عذر لك في أحد أمرين إما أن تهاجر إلينا من غير التفات إلى الثقل المعوق عند الله، إما انضم أنت ومن معك إلى الطاهر المجذوب وعثمان دقنة وتكون معهم يداً واحدة»[15]

ولما وقف الميرغني على خطاب المهدي له رأى أن يثير ويحرض القبائل الخاضعة لتأثير الطائفة الختمية وهي تشمل الحلنقة والنابتاب والحمرن والملهيتكناب والسبدرات فأرسل يدعو إلى اجتماع عام تحت سفح الجبل وعنما حضر أعيان هذه القبائل طلب منهم الإعراض عن دعوة المهدي، وليس ذلك فحسب بل طاف خلال الفترة ما بين (1883 – 1884م) يحذر الناس من المهدية وينشر بينهم أنها دعوة كاذبة وعليهم دعم الإدارة التركية.[16]

وفي الجهة الأخرى دلف مصطفى على هدل[17] نحو سواكن عند ما بلغه خبر عثمان دقنة وكانت بينهما علاقة تجارية قبل قيام الثورة المهدية وبايعه باسم المهدي فكتب إليه عثمان دقنة بالإمارة على كسلا ومحاصرة[18] حاميتها حتى تخضع له. فحمل خطابه وأتى به إلى بلدة فلك[19] مركز دعامة قبيلة الهدندوة وجمع جيشاً كبيراً من سكانها ثم زحف به نحو مدينة كسلا واتخذ منطقة جمام الواقعة شمال كسلا معسكراً له.[20]

واستمر القتال سجالاً بين الطرفين حيث تمكن الثوار من هزيمة جنود الحكومة

وضرب الحصار حول المدينة وتحصن المدافعين عنها داخل حصونهم حتى نفد منهم القوت[21]، ولم يبق لهم سوى الجلود القديمة والأشياء المسترذلة وصار يموت منهم في اليوم أربعين نفساً أو أثر واشتد البأس بمدير كسلا أحمد عفت ورجال المديرية فقرروا أن يعرضوا على المهدي التسليم لموفد منه خوفاً من غائلة انتقام المحاصرين إذا هم سلموا، فأرسل المهدي وفداً برئاسة الحسين إبراهيم الزهراء[22] حيث تم التسليم يوم 1885/7/29م. [23]

وجاء خبر التسليم وخضوع مدينة كسلا إلى المهدية بعد وفاة المهدي وارتقاء الخليفة بقليل، وعلى الفور أمر الخليفة حسيناً بتسليم الأمر إلى عثمان دقنة الذي تقع كسلا في إطار عمالته والعودة إلى أم درمان، غير أن الموقف كان منذراً بهجوم على المدينة من قبل الحبشة لدعم المحاصرين في كسلا ووقع الهجوم فعلاً يوم 23 سبتمبر 1885م لكن بعد فوات الأوان، وفي كوفيت[24]بعيداً عن كسلا نفسها وزاد التوتر بين الحبشة المهدية. [25]

وبعد هذه الواقعة عاد الأمير عثمان دقنة إلى كسلا ثم تحرك بجيشه نحو حي الختمية وبوصوله إليها شرع الأنصار في هدم المنازل وحطموا جامع المراغنة وقبة السيد الحسن، وسلبوا ما وقع على أعينهم من الرياش والتحف والفراش ثم أضرموا النار في المباني وخرج منها الأمير عثمان دقنة بعد أن أخلاها من السكان وفرض حظراً على زيارتها وأصدر مرسوماً يعاقب كل من يزور الختمية بسبع وعشرين جلدة وما بين عشية وضحاها اندثرت أهم معالم المدينة فيها.[26]

ولم تشهد مدينة كسلا طوال عهد المهدية تطوراً عمرانياً وذلك نسبة لطبيعة الثورة المهدية الدينية فضلاً عن حرصها على القضاء على كل المعالم التي خلفها الحكم التركي المصري.

ومع بداية انحدار مؤشرات الولاء للمهدية نحو الهبود في شرق السودان أبرمت إنجلترا معاهدة مع إيطاليا يوم 15 أبريل عام 1891م سمحت لها بموجبها احتلال مدينة كسلا والأراضي المتاخمة لها شريطة أن تسلمها للإنجليز والمصريين يوم تزحف عليها قواتهم.[27]

وأتاح للإيطاليين الفرصة التي كانوا يترقبونها استداعاء أحمد فضيل وكل قواته من عمالة الشرق إلى أم درمان في مايو سنة 1894م، وبقي الأمير مساعد قيدوم في كسلا بحامية قليلة العدد، حيث تم الهجوم يوم 17 يونيو 1894م بنجاح حسام وانتهى الأمر بهروب مساعد قيدوم ووقوع كسلا في قبضة إيطاليا.

والأمـر الـذي ينبغـي التوقـف عنـده أن خـبر سـقوط كسـلا في أيـدي الطليـان وقـع وقـوع الصاعقـة عـلى الخليفـة عبـد اللـه التعايـشي في أم درمـان، فيقـال أنـه نهـض واقفـاً عندمـا بلغـه الخـبر واسـتل سـيفه وامتطـى صهـوة جـواده ونـزل بـه في النيـل نحـو الـشرق وهـو يكـبر عـلى الطليـان والزبـد يتطايـر منـه غضبـاً، ولكـن بعـد فـترة اسـتطاع أنصـاره أن يعيـدوه إلا أنـه ظـل حانقـاً ومشـغول التفكـير بمدينـة كسـلا ثـم زاد مـن حنقـه وصـول عاملـه المهـزوم (مسـاعد قيـدوم) فأطلـق عليـه الخليفـة لقـب حليمـة[28]

تطور كسلا في الحكم الثنائي:

تنفيـذاً للاتفـاق المسـبق بـين إنجلـترا وإيطاليـا زحـف بارسـونز باشـا مـن سـواكن عـلى رأس قـوة مصريـة واسـتلم مدينـة كسـلا يـوم 25 ديسـمبر عـام 1897م رافعـاً العلـم المـصري عـلى سرايـا المديريـة. [29]

وفي 25 ديسـمبر أي بعـد خمسـة أيـام مـن السـيطرة عـلى المدينـة شرع الغـزاة الجـدد في إنشـاء أورطـة العـرب الشرقيـة وهـي أول كتيبـة تعتـبر النـواة الأولى للقيـادة الشرقيـة وضمـت قبائـل البجـا مثـل الهدنـدوة والحلنقـة والبنـي عامـر وغيرهـم[30] ثـم زار المدينـة سردار الجيـش المـصري كتشـنر باشـا بعـد توقيـع اتفاقيـة الحكـم الثنـائي يـوم 19 ينايـر عـام 1899م ورفـرف العلـمان البريطـاني والمـصري إيذانـاً ببدايـة حكـم جديـد تقاسـم سـلطاته الدولتـان.

والجديـر بالإشـارة أن إدارة الحكـم الثنـائي سـارت عـلى النمـط الـتركي بتقسـيم السـودان إلى مديريـات بلـغ عددهـا سـت في مطلـع العـام 1899م مـن ضمنهـا مديريـة كسـلا التـي كانـت تضـم القضـارف ومنطقـة القـاش وباديـة البحـر الأحمـر.

وكـما هـو معلـوم كان مديـر المديريـة عـلى قمـة الهـرم الإداري يسـاعده مفتشـان كانـا مـن البريطانيـين، ثـم المأمـور ومعـه معاونـان وهـؤلاء مـن المصريـين وبعدهـم تـأتي سـلطة زعـماء وشـيوخ القبائـل حيـث أقـرت السـلطات الجديـدة لـكل قبيلـة ناظرهـا بنظـام الوراثـة الـذي كان سـائداً خـلال العهـد الـتركي. [31]

عملـت إدارة المديريـة عـلى تطويـر المدينـة، وبـدأت بالخدمـات الطبيـة وكان الجيـش الغـازي مصطحبـاً معـه مجموعـة مـن الأطبـاء العسـكريين وبالتـالي افتتـح مستشـفى كسـلا التعليمـي عـام 1902م[32] ثـم اتجـه اهتـمام السـلطات إلى إنعـاش السـواقي ومنحـت الأراضي التـي تقـام عليهـا مجانـاً للمجموعـات التـي وفـدت إلى كسـلا مـن شـمال السـودان، وقدمـت لهـم إعانـات ماليـة ليتمكنـوا مـن الحصـول عـلى المعـدات اللازمـة لقيـام السـواقي، وبحلـول عـام 1911م بلـغ تعـداد السـواقي مئـة وإحـدى عـشرة سـاقية[33]

وفي عـام 1914م افتتحـت مدرسـة كسـلا التـي عرفـت بأسـماء عديـدة منهـا: مدرسـة كسـلا الأوليـة، ومدرسـة كسـلا الأم، ومدرسـة كسـلا الأميريـة الأولى، وكان أول ناظـر لهـا هـو الأسـتاذ عبـد اللـه محمـد صالـح الحلنقـي (1915 – 1940م) الـذي تلقـى برقيـة تهنئـة مـن مديـر المعـارف لتفـوق مدرسـته في الامتحانـات النهائيـة لعـام 1938م.[34]

ومـن جانـب آخـر وفـدت مجموعـات مـن الهنـود عـن طريـق سـواكن عـام 1918م بغـرض مزاولـة النشـاط التجـاري وعملـوا في تجـارة الأقمشـة والعطـور بسـوق المدينـة وعاشـوا في أجـزاء متاجرهـم الخلفيـة.[35]

كـما اتجـه تفكـير إدارة المدينـة إلى إنشـاء منصـب عمـدة لمدينـة كسـلا للحـد مـن غلـو الناظـر جعفـر شـكيلاتي الـذي كان يجاهـر بعدائـه إنجليـز حيـث تشـير الوثائـق إلى أن السـلطات اسـتقدمت الشـيخ أحمـد جعفـر مـن قـوز رجـب عـام 1920م لشـغل هـذه الوظيفـة وأشـاد بـه مسـتر بيـلي (Bally) مديـر كسـلا واعتـبره أكـثر الأشـخاص كفـاءة لتـولي رئاسـة مجلـس الديريـة ومنحـه هـو وبقيـة الأعضـاء عـشرة قـروش عـم كل جلـس تعتمـد بالمجلـس.[36]

ووصـل في العـام 1924م خـط السـكة حديـد حيـث ربـط المدينـة ببورتسـودان ثـم امتـد ليربطهـا بمناطـق الجزيـرة وغـرب السـودان في عـام 1929م فتوالـت هجـرات سـكانية مختلفـة للعمـل كموظفـين بالدولـة أو تجـار أو مزارعـين.[37]

وفي عـام 1928م أنشـأ نـادي الميرغنـي الريـاضي تحـت رعايـة محمـد عثـمان بـن أحمـد الميرغنـي واحتـل مسـاحة كبـيرة في الحيـاة الاجتماعيـة والثقافيـة في المدينـة، ثـم بـدأ النـادي في التطـور عـلى يـد طلعـت فريـد الضابـط برتبـة مـلازم ثـاني وقتهـا بالقيـادة الشرقيـة وقـد بـذل جهـداً في إعـادة تنظيـم النـادي، فوضـع لـه دسـتور، وانتخـب لجنـة تنفيذيـة مـن قبـل جمعيـة عموميـة، وحـصر اللاعبـين في أرانيـك، وتوجـت جهـوده بتسـجيل النـادي بالاتحـاد السـوداني لكـرة القـدم في مايـو 1938م.[38]

كذلـك تمـت إحالـة عـدد كبـير مـن عسـاكر الأورطـة الشرقيـة للمعـاش خـلال عـام 1930م فمنحتهـم إدارة مديريـة كسـلا أراضي زراعيـة مكافـأة عـلى خدمتهـم مـما شـجعهم عـلى الاسـتقرار والإقامـة بالمدينـة.[39]

أيضـاً وضعـت الحكومـة مـشروع لتخطيـط السـوق وإعـادة تنظيمـه مراعـاة للناحيـة الصحيـة وتجميـلاً لمظهـر المدينـة وتـم تنفيـذ المـشروع عـام 1936م، تـلا ذلـك دخـول الكهربـاء المدينـة.[40] ويصـور سـيرقوين بـل ملامـح السـوق المدينـة قائـلاً: «... سـكان المدينـة وزائروهـا مـن رجـال القبائـل كانـوا يحصلـون عـلى احتياجاتهـم منـه، ويعمـل فيـه عـدد مـن التجـار

ممـن نزحـوا إليـه مـن شـمال السـودان مـن دنقـلا، وحلفـا، وبربـر يبيعـون في حوانيتهـم ملـح الطعـام والسـكر والـبن، والصابـون وبعـض الأقمشـة القطنيـة، بالإضافـة إلى السروجيـون الذيـن يصنعـون سروج الخيـل، وصانعـو الأحذيـة (المراكيـب) الحمـراء الفاقعـة اللـون ... وزرائـب الـذرة وأكشـاكاً للحـدادة، وتشـتم رائحـة البخـور والبهـارات وأنـت تخـترق السـوق»[41].

بالإضافـة إلى مـا سـبق وفـدت بعـض الهجـرات الإفريقيـة في شـكل جماعـات مثـل البرقـو، والبرنـو، والهوسـا، والذيـن مارسـوا النشـاط الزراعـي في منطقـة السـواقي، ومثلـوا العنـصر الغالـب في منطقـة غـرب القـاش.

والجديـر بالذكـر أن هـؤلاء كانـوا في الأسـاس حجـاج وفـدوا إلى مدينـة كسـلا في طريقهم إلى مكـة أو عائديـن منهـا وأقامـوا بغـرض العمـل لتوفـير المـال الـلازم لرحلتهـم سـواء كانـت نحـو الـشرق إلى مكـة أو نحـو الغـرب لمواطنهـم.[42]

وذكـر الرحالـة بوركهـارت أن الطريـق الـذي يمـر عـبر التـاكا إلى سـواكن يعـد مـن أعمـر طـرق الحجيـج مـن هـؤلاء القـوم، وقـدر المسـافرين بـه بنحـو خمسـة آلاف سـنوياً.[43]

وواضـح أن هـذه المجموعـات أقبلـت إلى الاسـتقرار في المدينـة بصـورة أكـبر بعـد توسـع الحكومـة في زراعـة القطـن بدلتـا القـاش عـام 1922م إذ لم يزيـد عددهـم قبـل ذلـك وتحديـداً حتـى عـام 1910م عـن الألـف نسـمة.[44]

وأيـاً كان الأمـر فـإن مدينـة كسـلا عـلى مـدار الفـترة (1840 – 1940م) لم تتجـاوز الأحيـاء الآتيـة:

حي الحلنقة:

يقـع شـمال المدينـة، ويعـد الأسـاس الـذي قامـت حولـه مدينـة كسـلا، إذ كان قائمـاً يـوم زحفـت الجيـوش التركيـة المصريـة إلى بـلاد التـاكا عـام 1840م[45]وكانـت كل مبانيـه من القش غـير أنـه شـهد تطـوراً ملحوظـاً خـلال فـترة الحكـم الثنـائي حيـث بـذل المسـؤولين مجهـوداً في تنظيـم الحـي بعمـل مصـارف لميـاه الخريـف، وقامـوا بـردم الـبرك وبنـاء مراحيـض فضـلاً عـن منـع سـكانه مـن حفـر الأرض لاسـتخدام الرمـل في صيانـة منازلهـم.

وفي عام 1910م صدر قرار يتضمن ما يلي:

- حظر زراعة المحاصيل المطرية قرب المنازل.
- بناء حظائر الماشية بعيداً عن المنازل.
- أوكل أمر نظافة الحظائر لأهلها بعد أن أعدوا لهم أماكن لحرق الأوساخ.[46]

حي الختمية:

يقع تحت سفح جبال التاكا، وأصل هذا الحي هو قرية الدبور موطن الفكي يعقوب بن مالك الحلنقي خليفة الطريقة القادرية والزعيم الديني للحلنقة.

وفي عام 1818م حل السيد محمد عثمان الميرغني ضيفاً على الحلنقة وكمظهر من مظاهر الاحترام والتقدير باعتباره زعيم ديني منحه أعيان الحلنقة قطعة أرض صغيرة لبناء مسجده في هذه المنطقة وأطلق عليها السنية إلا أن الميرغني غادر إلى مكة ثم جاء ابنه الحسن أبو جلابية لنشر الطريقة الختمية واستقر في قرية السبدرات.

وحدث اندلاع ثورة الجهادية السود بكسلا عام 1865م واستنجدت الإدارة التركية بالسيد الحسن الذي نجح في إخماد الثورة لما له من نفوذ ديني عظيم، وبقي بعد ذلك بالمدينة فترة أخذ خلالها يردد على مسامع الحلنقة بأنه لا يستطيع الاستقرار في كسلا لأنه لا يملك أرضاً بها ولا زرعاً.

وعلى أثر ذلك اجتمع أعيان الحلنقى وقرروا منحه هذه المنطقة التي عرفت بحي الختمية وعرضوا أمر هذه الهبة على مدير المديرية عام 1867م فأقرها شفاهة إلا أن السيد الحسن توفي في العام التالي.[47]

وفي عام 1884م قام السيد محمد عثمان (الأقرب) بن السيد الحسن أبو جلابية ببناء مسجد وقبة على قبر والده أصبحت مزاراً لمديرية ثم هاجر إلى هذا الحي عدد من المراغنة فتوسط حوش المراغنة وقامت على الأطراف منازل أتباعهم بالإضافة إلى مسكان الحلنقة التي كانت موجودة أصلاً وصارت الختمية المركز الأول للطائفة الختمية[48]

حي الكارا:[49]

أسس في العهد التركي كسكن للضباط واتسم بمبانيه العسكرية ثم اتخذه الإنجليز مقراً للإداريين البريطانيين وموقعة شمال غرب السوق كسلا، وكان عدد المنازل به عام 1939م مئة وخمسين منزلاً يسكنها مئتي شخص ويعد أرقى أحياء مدينة كسلا والوحيد الذي صنف من أحياء الدرجة الأولى.[50]

حي غرب القاش:

نشأ خلال العهد التركي على الشاطئ الغربي لنهر القاش وسكنه الجهادية السود الذين سرحوا من الجيش التركي المصري وضم عناصر مختلفة من الفور، والشلك والدينكا والنوبة.

وقد اتسع في الحكم الثنائي حيث نزحت إليه جماعات من الهوسا والبرنو وكانت كل مبانيه من القش.[51]

حي الميرغنية:

من الأحياء التي قامت مطلع الحكم الثنائي، وامتد جنوب السوق وبلغ عدد مساكنه ألف وخمسمائة وسبعة وثلاثون منزلاً، يقطنها حوالي ستة آلاف شخص شيدت معظم مبانيه من القش.[52]

حي الهنود «الحلة الجديدة»:

نشأ هذا الحي خلال الحكم الثنائي في المساحة الممتدة شرق سوق المدينة وهو موطن أفراد أفراد الجالية الهندية، وكانوا يعيشون في أجزاء متاجرهم الخلفية بالسوق وبالتالي تم إبعادهم إلى حي الكارا لكن تمدد مبانيهم على جانبي الطريق الرئيس المؤدي إلى السوق وعدم تشييدهم لها بطريقة غير منتظمة جعل المسؤولين بالمديرية يعرضون عليهم قطع سكنية من الدرجة الثالثة في هذا الموقع وشيدوا مبانيهم من اللبن (الطين).[53]

حي السكة حديد:

نشأ في الضفة الغربية لنهر القاش بالقرب من موقع محطة السكة حديد وخصص لسكن الموظفين والعمال بمصلحة السكة حديد[54]

الهوامش:

1. السبدرات: قبيلة تستوطن شرق مدينة كسلا في منطقة جبلية.
2. على تخوم العالم الإسلامي، ترجمة ريتشارد هل، وعبد العظيم عكاشة، ج٢. الطبعة الأولى 1981 ص 55.
3. نعوم شقير: تاريخ السودان(تحقيق محمد ابراهيم أبو سليم، بيروت ، دار الجيل، 1981م، ص222.
4. على تخوم العالم الإسلامي، المرجع السابق، ص133.
5. محمد الأمين شريف: تاريخ مدينة كسلا، تحقيق: حسن أبو عائشة، الرياض، دار شرف تيقا، الطبعة الأولى 1996م، ص44.
6. محمد صالح ضرار: تاريخ شرق السودان، ج2، القاهرة، دار الاتحاد العربي للطباعة 1992م، ص55.
7. محمد الأمين شريف:
8. خديجة عثمان زروق: تاريخ مدينة كسلا في العهد الثنائي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الخرطوم، كلية الدراسات العليا، 1977م، ص29.
9. محمد الأمين شريف، مرجع سابق، ص
10. محمد عمر بشير: تطور التعليم في السودان، ترجمة هنري رياض وآخرون، بيروت، دار الثقافة، 1970م، ص44.
11. وثيقة قديمة بحوزة الشيخ حسين إسماعيل شنينة، إمام جامع الحلنقة العتيق بحي الحلنقة، مدينة كسلا.
12. محمد الأمين شريف، مرجع سابق، ص30.
13. عثمان دقنة: ينتمي أصلا ونسباً إلى الدقناب وهم سلالة رجل كردي من ديار بكر هاجر إلى شرق السودان وصاهر هدندوة .
14. عبد الغفار محمد علي: الحركات الدينية والقبلية المعارضة للمهدية، رسالة ماجستير، جامعة أم درمان الإسلامية، كلية الآداب، قسم التاريخ والحضارة الإسلامية، 1990م، ص62.
15. محمد إبراهيم أبو سليم: الخصومة في مهدي السودان، الخرطوم، مركز أبو سليم للدراسات، الطبعة الأولى، 2004م، ص335.
16. إبراهيم فوزي باشا: السودان بين يدي غردون وكتشنر، ج1، الخرطوم، الدار السودانية للكتب، الطبعة الأولى، 2010م، ص179.

17. مصطفى علي هدل: هدل تعني الأسود بلهجة البجا كناية عن لون البشرة وكانت حرفته صنع أسورة العاج للنساء بمنطقة الدقا ضواحي تسنى.
18. فِللْ: تقع في منطقة القاش شرق مدينة وقر.
19. نعوم شقير: تاريخ السودان، مرجع سابق، ص583.
20. ب. م. هولت: المهدية في السودان، ترجمة هنري رياض وآخرون، مكتبة الخرطوم، 1959م، ص62.
21. الحسين إبراهيم الزهراء: تخرج في الأزهر الشريف وعاد إلى السودان وأنشأ مدرسة بقريته أم عضام في الجزيرة ثم التحق بالمهدي وتولى القضاء وكان اختياره في هذه المهمة تطميناً للمستلمين لأنه عالي مكانة لا يتوقع منه طيش .
22. محمد إبراهيم ابوسليم :مرجع سابق ص٥٤٥
23. -كوفيت :منطقة تقع على الحدود السودانية الارترية
24. نعوم شقير :مرجع سابق ٦٥١
25. محمد الأمين شريف :مرجع سابق ص١٥٢-١٦٥
26. ب. م. هولت :مرجع سابق ص٢٢٠
27. محمد الأمين شريف :مرجع سابق ص٢١٢
28. السر سيد أحمد العراقي :مرجع سابق ص٢١٤
29. عمر النور أحمد :شجذرات من سجل التاريخ العسكري ج١ الخرطوم مطبعة الجودة! الطبعة الأولى ٢٠١٢م ص٢٤
30. أحمد مصطفى أحمد ضقيل: تاريخ مدينة كسلا (١٨٤٠-١٩٥٦)رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النيلين، كلية الأدآب، قسم التاريخ، ٢٠٠٨م ص١٣٦
31. نفس المرجع السابق ص٥٤
32. خديجة عثمان زروق :مرجع سابق ص٩٨
33. نفس المرجع السابق، ص٧١
34. السر سيد أحمد العراقي :مرجع سابق ص٢١١
35. وثيقة بحوزة ناظر قبيلة الحلنقة الشيخ مراد جعفر علي شكيلاي، كاتبها المرحوم حسن علي شكيلاي تاريخها يوم ١٥/٩/١٩٢٧م.
36. أحمد مصطفى أحمد ضقيل:مرجع سابق ص١٠٤
37. السر سيد أحمد العراقي :مرجع سابق ص

38. أحمد مصطفى أحمد ضقيل :مرجع سابق ص٩٠
39. خديجة عثمان زروق :مرجع سابق ص ٣٥
40. سير قوين بل :إدارة السودان في الحكم الثنائي (إعداد بشير محمد سعيد) الخرطوم، دارجامعة الخرطوم للنشر، الطبعة الأولى ١٩٨٨م، ص٤٠
41. خديجة عثمان زروق :مرجع سابق ص١٥٧
42. جون لويس بوركهارت :رحلات بوركهارت في النوبة والسودان، (ترجمة فؤاد أندراوس) مطبعة المعرفة ١٨٢٢م ص ٣١٥
43. خديجة عثمان زروق :مرجع سابق، ص١٥٧
44. عبدالكريم إسماعيل ديريا :مدينة كسلا نشأتها وتطورها (١٧٢٨-٢٠٠م)رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النيلين، كلية الأدآب، قسم الجغرافيا ٢٠٠١م ص١١٢
45. أحمد مصطفى أحمد ضقيل :مرجع سابق ص ٣٧
46. خديجة عثمان زروق :مرجع سابق ص٥٣
47. إسماعيل عبدالكريم ديريا:مرجع سابق ص١١٤
48. الكارا فرقة سودانية تعمل في الجيش التركي
49. أحمد مصطفى أحمد ضقيل :مرجع سابق ص١٠٧
05. خديجة عثمان زروق :مرجع سابق، ص٦٥
51. عبد علي حامد العبادي :أنماط المدن الكبرى في السودان، المنظمة العربية للثقافة والتربية، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٧٠م ص٤٧
52. أحمد مصطفى أحمد ضغيل :مرجع سابق، ص١١١
53. خديجة عثمان زروق :مرجع سابق، ص٥٦

الفصل الثالث

لمحات من تاريخ القضارف

(1504 ـ 1885 م)

لمحات من تاريخ القضارف

(1504 ـ 1885 م)

د. قسم السيد حمزة احمد بربر

أستاذ مشارك ـ قسم التاريخ ـ كلية التربية - جامعة الزعيم الأزهري

مقدمة :

تعد دراسة المدن والبحث فيها من الدراسات الممتعة رغم الصعوبات التي تكتنفها ولا تقوم المدن بمحض الصدفة أو دون مبررات ، بل في الغالب الأعم نتيجة لتفاعل عوامل تجارية وإدارية وسياسية ودينية ، وترجع نشأة المدن في السودان إلى فترة ما قبل التاريخ [1].

إن العامل التجاري هو العامل الأساسي في نشأة لمدن السودانية يليه العامل الإداري . ويأتي العامل التجاري نتيجة طبيعية لموقع المدينة الجغرافي سواء على ساحل أو طرق قوافل. وقد ظهرت عدة مدن على طريق القوافل . ففي دارفور نجد كوبي تقع في نهاية درب الأربعين الذي يربط مصر مع دارفور . وفي الشمال بربر وشندي حيث يوجد طريق يربطهما بسواكن والجزيرة العربية . وظهرت كل من الخرطوم وأم درمان لعامل إداري . وظهر اثر العامل الديني في قيام مدن مثل ود مدني حول قبة الشيخ محمد مدني ، ومدينة الأبيض التي كانت نواتها الاولي من إتباع الطريقة الإسماعيلية ، ووجود عائلة الشيخ أبو صفية في نفس المنطقة[2].

وقد قامت مدينة القضارف لعوامل إدارية وتجارية. ففي أيام الفونج كانت عاصمة لإقليم اتبرا، كما أنها تقع وسط منطقة زراعية غنية ولذلك أصبحت سوقا تجاريا مهما للمحاصيل الزراعية. وساعدها موقعها الجغرافي الحصين أيضا، من إذ تحيط بها سلسلة من التلال تجعل الدفاع عنها ضد الغارات الخارجية أكثر يسراً. ومما ساعدها على النمو موقعها الجغرافي الذي جعل منها ملتقي للطرق التجارية.

ورغم إمكانياتها الاقتصادية الضخمة ، إلا أنها لم تصنف مركزا تجاريا مهما أيام الفونج مثل مدني ، أربجي، شندي وبربر وسواكن [3]. وخلال التركية اكتشف الأتراك

والوافدون معهم مميزاتها الاقتصادية فكان ذلك سببا لاستقرارهم بها . أما في المهدية فقد اكتسبت أهمية إستراتيجية وإدارية بسبب العلاقات بين المهدية والحبشة ، كما أصبحت مصدرا أساسيا لتوفير الغذاء لجيش الخليفة.

تسمية القضارف:

لعل من أكبر التحديات التي تواجه الباحثين في تاريخ السودان مسألة أسماء المدن والقرى. ورغم احتفاظ الكثير من المناطق بأسمائها القديمة ذات الطابع النوبي ، والتي ترجع إلى فترة ما قبل دخول العرب السودان ، إلا أن هناك أسماء مدن ذات طابع عربي ظهرت مع دخول العرب السودان مثل رفاعة والهلالية وغيرها.

وبما أن السودانيين أمة شفاهية لا تجيد التوثيق وفي إطار بحثهم المحموم لإثبات عروبتهم من خلال النسب وأسماء البلدان ، جرت محاولات لتعريب أسماء المواقع والمدن القديمة . وأحدثت هذه الخطوة خلطاً وخللاً صاحبه بعض السخف في تفسير أسماء المدن السودانية[4]. فقد تم تحوير اسم الخرطوم من اسمها القديم كير التوم ، الذي ربما يكون شلكاوياً، والذي يعني التقاء النهرين او خورين إلى الخرطوم [5] وينطبق هذا على أم درمان وعطبرة وشندي والتي حاول البعض ربط اسمها بأحد أبناء عبد الله جماع .

وبالنسبة للقضارف هناك خلط كبير بين إسم المدينة والمنطقة ، ورغم أنه من غير المستبعد ان يكون إسمها إسما نوبياً قديماً إلا انه هنالك روايات تحاول إضفاء طابعاً عربياً عليه، استنادا إلى طبوغرافيا وتضاريس المنطقة ، فعندما يأتي الزائر إلى مدينة القضارف ويرى من على البعد الهضاب الهشة المحيطة بها في شكل دائري ، يهتف قائلا «القضاريف ظهرن» [6] .

لم يرد إسم القضارف بالنص في وثائق الفونج ، رغم ان مدينة القضارف الحالية والتي كانت تعرف بتواوا وقتذاك ، كانت عاصمة إدارية لأحد أقاليم السلطنة. وأهم الأقاليم التي ظهر أسماء حكامها وألقابهم في وثائق بلاط الفونج هي البحر، القربين . التاكا وأتبرا[7] ولعل أقدم إشارة إلى اسم القضارف تلك التي أوردها ود ضيف الله ضمن سيرة الشيخ بدوي أبو دليق[8]. فقد روى الشيخ صالح بان النقا وهو أحد أقطاب القادرية في السودان انه سافر مع الشيخ بدوي إلى القضارف[9] وفي ختام حديثه عن الشيخ بدوي أبو دليق قال صاحب الطبقات (انه توفي سنة ثمانية عشر بعد

المائـة والألـف) [10]. ويستشـف مـن هـذا الـكلام ان القضـارف بلـدة معروفـة قبـل وصـول القبائـل العربيـة وإسـمها نوبيـاً، فـإذا كان الشـيخ بـدوي الـذي زار القضـارف في حياتـه تـوفي سـنة 1118 هــ أي قبـل أكـثر مـن ثلاثمائـة سـنة مـن الآن ، فهـذا يعنـي إنهـا منطقـة قديمـة تأسسـت قبـل قيـام سـلطنة الفونـج وربمـا منـذ أيـام ممالـك السـودان القديمـة.

ومـما يثـير دهشـة المـرء ان كل الرحالـة الذيـن زاروا سـنار في اواخـر القـرن السـابع عـشر وخـلال الثامـن عـشر أمثـال ثيـودور كرمـب البافـاري والفرنـسي بونسـيه لم يشـيروا إليهـا بالمـرة . والاسـتثناء الوحيـد هـو الرحالـة الاسـكتلندي جيمـس بـروس الـذي زارهـا وأشـار إليهـا باسـم تيـوا Teawa واسـتناداً عـلى هـذا يبـدو ان اسـم القضـارف كان ينـصرف إلى المنطقـة كلهـا ولم يكـن اسـم لموضـع معـين. ومـما يـدل عـلى ان القضـارف اسـما للمنطقـة وليـس لموقـع بعينـه كـثرة الأسـماء في المنطقـة مثـل تـواوا وسـوق أبـو سـن وسرف البـوادرة والكنـارة وغريقانـة وعصـار[11]. وهـذا يعنـي أيضـا أن إسـم سـوق أبـو سـن وقـضروف سـعد أسـماء حديثـة ظهـرت مـع التركيـة ، لان الشـكرية لم يكـن لهـم وجـود في المنطقـة قبـل أواخـر القـرن الثامـن عـشر، أمـا سـعد القبطـي فقـد جـاء بالقطـع مـع التركيـة . ومـما يلفـت النظـر ان القضـارف أيـام الفونـج لم تكـن تحكـم بواسـطة الشـكرية ولا الضباينـة وإنمـا جهينـة . وتشـير المراجـع إلى ان وجـود الضباينـة في منطقـة القضـارف أسـبق مـن الشـكرية مـع بعدهـم عـن العاصمـة تـواوا ، وإنهـم كانـوا يهاجمونهـا بالتحالـف مـع المـور (مسـلمي الحبشـة) [12].

ويبـدو أن الشـكرية لم يبسـطوا نفوذهـم عـلى المنطقـة إلا في الربـع الأخـير مـن القـرن الثامـن عـشر وبعـد معركـة المنـدرة عـام 1779 م. [13] وتأسيسـا عـلى كل مـا ذكـر آنفـا فـان اسـم القضـارف لم يطلـق عـلى المدينـة بصفـة رسـمية إلا في التركيـة .

قـدم جيمـس بـروس وصفـاً لتـواوا عنـد مـروره بهـا عـام 1772 م في طريقـه إلى سـنار فقـد أشـار بنحـو غـير دقيـق ان الشـيخ فضيـل هـو شـيخ أتـبرا .[14] وقـدر عـدد السـكان بحـوالي ألـف ومائتـين مـن الاعـراب البائسـين أمـا تـواوا فقـد كانـت مقـرا للحكومـة مـما جعلهـا تتميـز بدرجـة معينـة مـن التقديـر[15] أمـا مسـكن شـيخها فضيـل حسـب وصـف جيمـس بـروس فيتكـون مـن (مجموعـة مـن بيـوت مصنوعـة مـن القصـب ، بالقـرب مـن الطريـق ، عنـد المدخـل ، كانـت هنـاك قاعـة كبـيرة مبينـة مـن الطـوب اللـبن ، وكنـا نصعـد إليهـا بواسـطة أربـع او خمـس درجـات ، وكان في وسـطها كـرسي خـالي يمثـل رمـز السـيادة

الـذي قدمـت لـه فـروض الـولاء والطاعـة. عبـارة عـن رسـوم جمركيـة غـير محصـورة فقـط عـلى تـواوا او القـرن الثامـن عـشر[16].

تجارة القضارف :

تمتعـت القضـارف بأهميـة تجاريـة ويتضـح ذلـك مـن خـلال شـبكة الطـرق التـي تربطهـا بمختلـف المناطـق داخليـاً وخارجيـاً ومـن أهـم هـذه الطـرق :

أ/ طريق القضارف ــ القلابات :

اسـتخدم هـذا الطريـق بواسـطة بعـض التجـار ورجـال البعثـات التبشـيرية المختلفـة الذيـن يأتـون مـن مـصر إضافـة إلى أهـل الجزيـرة وشـمال السـودان وحجـاج السـودان الغـربي ويتميـز هـذا الطريـق بوجـود مجموعـة مـن المـدن والقـرى ، أهمهـا مدينـة دوكـة، التـي كانـت تعتـبر حلقـة الوصـل بـين إقليمـي القضـارف والقلابـات، لأنهـا تتوسـط هـذا الطريـق، ويقـال إنهـا كانـت في السـابق مركـزاً هامـاً مـن مراكـز تجـارة الرقيـق . ويتميـز هـذا الطريـق بوفـرة الميـاه العذبـة في بعـض مناطقـه مثـل راشـد وأم فرحـة .

ب/ طريق سنار ـ بيلا ـ القضارف ـ القلابات :

يبـدأ بعـد عبـور النيـل الأزرق مـن سـنار ثـم يتجـه شرقـاً حتـى نهـر الدنـدر، ثـم نهـر الرهـد، ثـم يتجـه شرقـا إلى بيـلا ومنهـا إلى القضـارف، وهـو الطريـق الـذي سـلكه جيمـس بـروس عنـد عودتـه مـن الحبشـة إلى سـنار . وأشـار إلى قلـة مائـه بـين القضـارف وبيـلا [17].

كان تجـار القضـارف يمـدون سـوق القلابـات بالخيـول والذهـب والجـبن والعسـل والشـمع . ومـن ناحيـة ثانيـة فـان تجـار سـنار كانـوا يسـافرون إلى القلابـات عـبر الصحـراء تحاشـياً لحاكـم منطقـة القضـارف ، وخوفـاً مـن بعـض القبائـل وقطـاع الطـرق ، « الشـفتة « نسـبة لان حاكـم أتـبرا كان يمـارس عمليـات سـلب ونهـب عـلى حسـاب أولئـك التجـار[18].

وقـد تعـرض جيمـس بـروس لابتـزاز حاكـم اتـبرا (تـواوا) فضيـل الـذي طلـب منـه خمسـين أوقيـه مـن الذهـب. ورفـض بـروس هـذا الطلـب فحـاول فضيـل قتلـه بالسـيف ولم ينقـذه مـن هـذه المؤامـرة إلا سـلاحه النـاري الـذي كان يدسـه وسـط أكمامـه [19].

القضارف في التركية :

بسـط الأتـراك نفوذهـم عـلى القضـارف ، وعـلى العكـس مـن جارتهـا كسـلا، بسـهولة ودون مقاومـة تذكـر. ففـي أيـام الغـزو الاولي وبعـد تعيـين عثـمان بـك جركـس البرنجـي والياً

على السودان، فرض على المواطنين ضرائب باهظة دفعت البعض منهم للهجرة إلى القضارف 1824 – 1825 . فما كان من عثمان بك جركس الذي اشتهر بالقسوة وسفك الدماء إلا ان أرسل خلفهم ابراهيم أفندي فقتل منهم خلقا كثيرا [20].

خلف عثمان باشا جركس بعد وفاته محو بك الاورفلي مدير بربر حاكما على السودان . وصادف تعيينه حاكما مجاعة بالجزيرة ، فذهب إلى القضارف وأرسل منها الذرة إلى المناطق المتأثرة بالمجاعة. وفي عام 1830 ضم خورشيد باشا أول حكمدار للسودان القلابات وحصنها وأقام فيها حامية عسكرية[21] وفى عام 1837 غزا احمد كاشف حاكم القضارف وراشد أطراف الحبشة فغنم وسبى وأرسل السبايا إلى الخرطوم[22] .

اكتشف الغزاة الجدد وأتباعهم منذ البداية إمكانيات القضارف الاقتصادية. وشجعهم مناخها وكثرة أمطارها على التوسع الزراعي. فالأمطار في هذه المنطقة تصلح لزراعة السمسم والقطن والذرة الذي يمثل الغذاء الرئيسي لسكان السودان[23].

شجع مناخ القضارف الوافدين على إدخال أنواع جديدة من المحاصيل مثل الفواكه والتمباك . وكان التجار الإغريق يقومون بزراعة التمباك طوال فترة التركية ، بل ان بعضهم أقام مصنعا للسجائر [24] وقد وصل إنتاج التمباك السنوي ألف وخمسمائة ورقة . [25] لكل هذا أصبحت القضارف منطقة جاذبة وملتقي تجاري مهم ، يفد إليها التجار من داخل السودان وخارجه من بلاد مثل مصر والحجاز والهند والحبشة وأحيانا من أوربا. واشتهرت القضارف بجانب الزراعة بالتجارة في ريش النعام وقامت بها بعض الصناعات الخفيفة مثل صناعة الصابون والسجائر. وقد بلغت الضرائب السنوية على التمباك مائة ألف ريال كانت تذهب كلها لخزينة الدولة. [26] وتعكس هذه الأرقام ثراء القضارف وقدراتها الاقتصادية الضخمة. لهذه الاعتبارات وجدت القضارف اهتماما وعناية فائقة من الحكام الأتراك فأمدوها ببوستة منتظمة مع الخرطوم [27].

خلال التركية زار القضارف العديد من الرحالة أمثال هوسكنز وهيوجلين والمكتشف صمويل بيكر. وقدم صمويل بيكر الذي جاء إلى السودان أصلا بغرض الصيد ، وأطلق عليها اسم القضارف ، وصفا ممتعاً لسوقها . وذكر ان (هناك شارعا مفتوحا مسقوفا بالقش ، وارتفاعه ستة إقدام ، وكان التجار يعرضون بضائعهم أمام ذلك الشارع ،

وكان من بين تلك البضائع الأقمشة القطنية التي يجلبها التجار اليونانيون ، والسيوف والمبارد والأمواس ، وأدوات معدنية أخرى ألمانية الصنع ، ومعظمها لا قيمة به) [28]. ومما لفت نظره كثرة الأكشاك التي خصصت للشطة والخرز والعطور. ومن أهم السلع الأخرى المعروضة الزبد والسمن والحبال والسجاد والحقائب الجلدية والقرب. ولاحظ بيكر أيضا وجدود حدادين متجولين يبيعون السكاكين ويصلحون الحراب. ومن أغرب ما أشار إليه وفي ظاهرة لم نعهدها كثيراً في السودان وجود راوي قصص محترف يمسك جملاً من مقوده خالقاً جلبة وضجيجا من الضحك بنكاته [29]. وذكر بيكر أيضا وجود سوق للمواشي بالقضارف يتردد عليه العرب والتكاريز والأحباش[30].

وعند اندلاع الثورة المهدية ركزت الحكومة التركية مجهوداتها العسكرية في غرب السودان باعتباره معقل الثورة. وترتب على ذلك ضعف الاهتمام بالمناطق الاخري وبخاصة منطقة القضارف القلابات. وكان بالقضارف عند اندلاع الثورة مائتا جندي نظامي وأوردي من الباشبوزوق المغاربة بقيادة محمد باشا أغا . وكان محمد عوض الكريم أبو سن مأمورا عليها . ونقل إليها بلوك من القلابات ولكنه سرعان ما حول إلى عصار لتدعيم موقفها . وفي أبريل 1884 استسلمت القضارف لمبعوث المهدي الحسين عبد الواحد نور الدائم دون مقاومة نسبة لضعف حاميتها وبعدها عن مراكز الحكومة الهامة وبمعاونة القبائل المحلية وأهمها الشكرية وعين المهدي عبد الله احمد أبو سن عاملا عليها [31].

الهوامش:

1. Sudan Notes and Records , Volume 52 , Khartoum 1971 p.63.
2. خديجة عثمان زروق ، تاريخ مدينة كسلا في العهد الثنائي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الخرطوم ، 1971 م ، الصفحات من 16 – 21 .
3. Sudan Notes and Records op- CIT p.65.
4. محمد ابراهيم أبو سليم ، تاريخ الخرطوم ، بيروت ، دار الجيل ، الطبعة الثالثة ، 1991 م ، ص6
5. المرجع السابق ، ص 7
6. التهامي عبد الله سليمان ، القضارف تاريخ ومجد وسؤدد ، الخرطوم ، دار فأس للنشر ، الطبعة الثانية ، 2015 م ، ص 20
7. جاي سبولدنق ، عصر البطولة في سنار ، تعريب احمد المعتصم الشيخ، الخرطوم ،هيئة الخرطوم للصحافة والنشر ، الطبعة الثانية 2014 م ص 74
8. محمد النور بن ضيف الله ، كتاب الطبقات في خصوص الأولياء الصالحين والعلماء والشعراء في السودان ، تحقيق يوسف فضل حسن ، الخرطوم ، دار جامعة الخرطوم للنشر ، الطبعة الثالثة ، 1985 م ، ص116.
9. المصدر السابق ، ص 116
10. المصدر السابق ، ص 123
11. أو . جي . إس كروفورد ، مملكة الفونج الاسلامية ، ترجمة البشير الصادق البشير ، الخرطوم شركة مطابع السودان للعملة المحدودة ، الطبعة الاولي ، 2017 م ، ص 147.
12. المرجع السابق ، ص 148
13. المرجع السابق ، ص 147
14. المرجع السابق ، ص 147
15. المرجع السابق ، ص 148
16. المرجع السابق ، ص 414
17. محمد المصطفى أبو القاسم إسماعيل ، هجرات التكاريز واستيطانهم ببلاد السودان الشرقي فيما قبل القرن العشرين مشيخة تكاريز القلابات، رسالة

ماجستير غير منشورة ، جامعة الخرطوم ، 1990 م ، ص 71

18. المرجع السابق ، ص 90
19. أو جي . إس . كروفورد ، مرجع سابق ، ص 414
20. نعوم شقير ، تاريخ السودان ، تحقيق ابراهيم أبو سليم ، بيروت ، دار الجيل، طبعة جديدة 1981 م ، ص 213
21. المصدر السابق ، ص 216
22. المصدر نفسه ص 219 .
23. محمد سعيد القدال ، المهدية والحبشة ، دراسة في السيادة الداخلية والخارجية للدولة المهدية 1881 – 1898 ، بيروت ، دار الجيل ، الطبعة الاولي ، 1992 م ، ص 9
24. المرجع السابق ، ص 9
25. المرجع نفسه ص 10
26. المرجع نفسه ص 14
27. المرجع نفسه ، ص 14
28. او جي . إس . كروفورد ، مرجع سابق ، ص 148
29. المرجع نفسه ، ص 148
30. المرجع نفسه ص 148
31. محمد سعيد القدال ، مرجع سابق ص 25.